

{ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ } (1)

الكوثر فوعل من الكثرة، وأعطيناك قرئ: أعطيناك، بإبدال العين نوناً، وليست النون مبدلة عن العين، كإبدال الألف من الواو أو العين في الأجوف ونحوه، ولكن كلاً منهما أصل بذاته، وقراءة مستقلة. قاله أبو حيان.

واختلف في الكوثر.

ف قيل: علم.

وقيل: وصف.

وعلى العلمية قالوا: إنه علم على نهر في الجنة، وعلى الوصف قالوا: الخير الكثير.

ومما استدل به على العلمية، ما جاء في السنة من الأحاديث الصحاح، ذكرها ابن كثير وغيره.

وفي صحيح البخاري عن أنس قال: " لما عرج برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى

السماء قال: " أتيت نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف. فقلت: ما هذا يا جبريل؟

قال: هذا الكوثر " ."

وبسنده أيضاً عن عائشة رضي الله عنها " سئلت عن قوله تعالى: { إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ
الْكَوْثَرَ } [الكوثر: 1]، قالت: هو نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم، شاطئاه
عليهما در مجوف، آينته كعدد النجوم ".

وبسنده أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه
الله إياه.

قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال سعيد:
النهر الذي في الجنة من الخير، الذي أعطاه الله إياه.

وذكر ابن كثير هذه الأحاديث وغيرها عن أحمد رحمه الله: ومنها بسند أحمد إلى أنس
بن مالك قال: " أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءة، فرفع رأسه مبتسماً
إما قال لهم، وإما قالوا له: لم ضحكت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه
نزلت عليّ أنفاً سورة، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، إنا أعطيناك الكوثر، حتى
ختمها، فقال: هل تدرون ما الكوثر؟ قالوا: الله ورسوله أعلم؟ قال: نهر أعطانيه
ربي عز وجل في الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمي يوم القيامة، آينته عدد
الكواكب يخرج العبد منهم، فأقول: يارب إنه من أمي، فيقال: إنك لا تدري ما
أحدثوا بعدك ".

وذكر ابن كثير ما جاء في صفة الحوض، وهذه النصوص على أن الكوثر نهر في الجنة،

أعطاه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم.

وفي الحديث الأخير عن الإمام أحمد قوله: " عليه خير كثير " يشعر بأن معنى الوصفية موجود.

ولذا قال بعض المفسرين: إنه الخير الكثير.

ومن قال ذلك ابن عباس، كما تقدم في حديث البخاري عنه.

واستدلوا على المعنى، بقول الشاعر الكمي:

وأنت كثير يا ابن مروان طيب وكان أبوك ابن الفصائل

والذي تطمئن إليه النفس أن الكوثر: هو الخير الكثير، وأن الحوض أو النهر من جملة ذلك.

وقد أتت آيات تدل على إعطاء الله لرسوله الخير الكثير، كما جاء في قوله تعالى

{وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ}

[الحجر: 87] الآية.

وفي القريب سورة الضحى وفيها:

{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ}

[الضحى: 5]، أعقبها بنعم جليلة من شرح الصدور، ووضع الوزر، ورفع الذكر، واليسر بعد العسر.

وبعدها في سورة التين جعل بلده الأمين، وأعطى المؤمنين الذين يعملون الصالحات أجراً غير ممنون.

وبعدها سورة اقرأ. امتن عليه القرآن، وعلمه ما لم يكن يعلم.

وبعدها سورة القدر: أعطاه ليلة خيراً من ألف شهر.

وبعدها سورة البينة: جعل أمته خير البرية، ومنحهم رضاه عنهم، وأرضاهم عنه.

وبعدها سورة الزلزلة: حفظ لهم أعمالهم، فلم يضيع عليهم مثقال الذرة من الخير.

وفي سورة العاديات: أكبر عمل الجهاد، فأقسم بالعاديات في سبيل الله، والنصر على الأعداء.

وفي سورة التكاثر: تربيتهم على نعمه ليشكروا، فيزيدهم من فضله.

وفي سورة العصر: جعل أمته خير أمة أخرجت للناس، تؤمن بالله وتعمل الصالحات وتتواصى بالحق وتدعو إليه، وتتواصى بالصبر، وتصبر عليه.

وبعدها في سورة قريش: أكرم الله قومه، فأمنهم وأعطاهم رحلتهم.

وفي السورة التي قبلها مباشرة، وهي سورة الماعون: يمكن عمل مقارنة تامة أولاً.

وفي الجملة، لئن كان المنافقون يمنعون الماعون، فقد أعطيناك الخير الكثير، ثانياً.

وعلى التفصيل ففي الأولى، وصف المنافقين والمكذبين بدع اليتيم، وفي الضحى قد بين له حق اليتيم

{ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ }

[الضحى: 9]، فكان هو خير موكل، وخير كافل، ووصفهم هنا بأنهم لا يحضون على طعام المسكين.

وقد أوضح له في الضحى،

{ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ }

[الضحى: 10]، فكان يؤثر السائل على نفسه، وهؤلاء ساهون عن صلاتهم براعون بأعمالهم.

وفي هذه السورة

{ فَصَلِّ لِرَبِّكَ }

[الكوثر: 2]، أداء الصلاة وخالصة لربه، وإطعام المسكين بنحر الهدى والضحية

والصدقة، وكل ذلك خير كثير، يضاف إليه ما جاءت به السنة، كما في حديث: " أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة، وحلت لي الغنائم، ولم تكن تحل لأحد قبلي. وكان النبي يبعث لقومه خاصة، فبعث للناس كافة، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيا رجل أدركته الصلاة فليصل ".

وقوله: " رفع لي عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكروها عليه ".

وفي قوله تعالى:

{ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَيَّ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ
مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ }
[البقرة: 286].

قال صلى الله عليه وسلم: " إن الله تعالى قال: قد فعلت، قد فعلت ".

وقوله تعالى:

{ وَمَنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً }
[الإسراء: 79]، وهو المقام الذي يغبطه عليه الأولون والآخرون.

إلى غير ذلك من النصوص، بما يؤكد قول ابن عباس، عند البخاري: إن الكوثر: الخير

الكثير.

وأن النهر في الجنة من هذا الكوثر الذي أعطيه صلى الله عليه وسلم.

{ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ } (2)

في هذا مع ما قبله ربط بين النعم وشكرها، وبين العبادات وموجبها، فكما أعطاه الكوثر فليصل لربه سبحانه ولينحر له، كما تقدم في سورة لإيلاف قريش، في قوله تعالى:

{ فَلَیَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ }

[قريش: 3-4].

وهناك

{ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ }

[الكوثر: 1]، وهو أكثر من رحلتهم وأمنهم، { فَصَلِّ لِرَبِّكَ } مقابل

{ فَلَیَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ }

[قريش: 3].

وقيل: إنه لما كان في السورة قبلها بيان حال المنافقين في السهو عن الصلاة والرياء في العمل، جاء هنا بالقدوة الحسنة { فَصَلِّ لِرَبِّكَ } مخلصاً له في عبادتك، كما تقدم في السورة قبلها

{فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}
[الكهف: 110].

وقوله تعالى في تعليم الأمة، في خطاب شخصه صلى الله عليه وسلم

{لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ}

[الزمر: 65]، مع عصمته صلى الله عليه وسلم من أقل من ذلك، والصلاة عامة والفريضة أخصها.

وقيل: صلاة العيد، والنحر: قيل فيه أقوال عديدة:

أولها: في نحر الهدى أو نحر الضحية: وهي مرتبطة بقول من حمل الصلاة على صلاة العيد، وأن النحر بعد الصلاة كما في حديث البراء بن عازب " **لما ضحى قبل أن يلي، وسمع النبي صلى الله عليه وسلم يحث على الضحية بعد الصلاة، فقال: إني علمت اليوم يوم لحم فعجلت بضحيتي، فقال له: شاتك شاة لحم؟ فقال: إن عندنا لعناقاً أحب إلينا من شاة، أتجزئ عني؟ قال: اذبحها، ولن تجزئ عن أحد غيرك** " .

وتقدم للشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه مبحث الضحية وافياً عند قوله تعالى:

{فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ}

[الحج: 28]، وقد ذكروا في معاني: وانحر: أي ضع يدك اليمنى على اليسرى على

نحر في الصلاة، وهذا مروى عن علي رضي الله عنه.

وأقوال أخرى ليس عليها نص.

والنحر: هو طعن الإبل في اللبة عند المنحر ملتقى الرقبة، بالصدر.

وأصح الأقوال في الصلاة.

وفي النحر هو ما تقدم من عموم الصلاة وعموم النحر أو الذبح لما جاء في قوله تعالى:

{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}

[الأنعام: 162].

واتفق الفقهاء أن النحر للإبل، والذبح للغنم، والبقر متردد فيه بين النحر والذبح، وأجمعوا على أن ذلك هو الأفضل، ولو عمم النحر في الجميع، أو عمم الذبح في الجميع لكان جائزاً، ولكنه خلاف السنة.

وقالوا: إن الحكمة في تخصيص الإبل بالنحر، وهو طول العنق، إذ لو ذبحت لكان مجرى الدم من القلب إلى محل الذبح بعيداً فلا يساعد على إخراج جميع الدم بيسر، بخلاف النحر في المنحر، فإنه يقرب المسافة ويساعد القلب على دفع الدم كله، أما الغنم فالذبح مناسب لها، والعلم عند الله تعالى.

{ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ } (3)

قال البخاري، عن ابن عباس رضي الله عنهما: شأنوك: عدوك اهـ.

والأبتر: هو الأقطع الذي لا عقب له.

وأنشد أبو حيان، قول الشاعر:

على قطع ذي القربى أجد
لئيم بدت في أنفه خنزوانة
أباتر

وقال: شأنك: مبغضك.

وفي هذه الآية يخبر سبحانه وتعالى: أن مبغض رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأقطع.

فقيب: نزلت في العاصي بن وائل.

قال لقريش: دعوه، فإنه أبتر لا عقب له، إذا مات استرحتم، فأنزلها الله تعالى رداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد جاء مصداقها بالفعل في قوله تعالى: في غزوة بدر في قوله تعالى:

{وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ}

[الأنفال: 7].

فقتل صنناديد قريش، وصدق الوعيد فيهم.

ومثله عموم قوله تعالى:

{فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}

[الأنعام: 45].

وجاء:

{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ}

[المسد: 1].

فهي في معناها أيضاً.

وبقي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في عقبه من آل بيته، وفي أمته كلها.

كما تقدم في قوله تعالى:

{وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ}

[الشرح: 4].